جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال في ضوء العقيدة الإسلامية

الدكتورة

أمل بنت مبارك الغفيلي

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية أصول الدين -
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال في ضوء العقيدة الإسلامية

أمل بنت مبارك الغفيلي
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية.
الإيميل: www.shmlan@gmail.com

ملخص البحث:

هذا بحث تناولت فيه أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال، ووقفت فيه على معنى التضعيف، وأنه ثابت بنصوص الكتاب والسنة، وأنه درجات أقلها التضعيف إلى عشر حسنات ودرجة أعلى منه إلى سبعمائة ضعف وإلى أكثر من سبعمائة إلى أضعاف مضاعفة. وانتهيت إلى أسباب تضعيف أجور العبادة وأنها كثيرة باعتبارات مختلفة منها باعتبار إخلاص فاعل العبادة ومتابعته للنبي (ﷺ) وصحة معتقده وحسن إسلامه وتعدي نفع ذلك العمل، وشرف زمان العبادة ومكانها، وحضور قلب فاعلها ومراقبته لله عند فعلها إلى غير ذلك من الأسباب التي ينبغي على كل مسلم أن يجتهد في معرفتها.

الكلمات المفتاحية: أسباب، تضعيف، أجور العبادات، الأعمال، ضوء، العقيدة الإسلامية.

The Reasons for the Weakening of the Wages of Worship and Works in the Light of the Islamic Faith

Amal bint Mubarak Al-Ghufaili
Department of Contemporary Doctrine and Doctrines, Faculty of Origins of Religion, Imam Muhammad Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.
E-mail: www.shmlan@gmail.com

Abstract:

This study examined the reasons behind multiplying the reward (Ara: Ajr) of different acts of worship and righteous deeds. Moreover, it shed some light on the concept of 'Multiplying'; proving that it was mentioned in the texts of the Holy Qur'an and Sunnah. The researcher argued that there are various degrees of multiplying the reward; the least of which is multiplying the reward by ten, and the highest degree reach to multiplying the reward of acts of worship and righteous deeds by seven hundred and more. The study concluded with stating the reasons for multiplying the reward of acts of worship and righteous deeds. However, these reasons are based on various considerations, including: the sincerity of the doer of the act or deed, his/her intention of following the Sunnah of Prophet Muhammad - peace be upon him, the soundness of his/her belief, his/her keenness of following Islam rules, the benefits of that act or deed, the sacredness of the time and place of that act or deed, the attentiveness of the doer and his observation of Allah when doing the act of worship or the righteous deed – in addition to a number of other reasons which should be known to every Muslim.

Keywords: Reasons, Weakening, Wages of Worship, Works, Light, Islamic Faith.

المُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. **ثم أما بعد،،،**

إن من سعادة العبد أن يختار لنفسه المبادرة إلى أفضل الأعمال، وأن يتحرَّى في سلوكه أحبَّ الطرق الموصِّلة إلى الله، ويبذل وُسعَه في طلب المرضي لله – تعالى–؛ إذ ما من شك أنه بحسب مراتب الأعمال ودرجاتها تكون مراتب الجنة ودرجاتها. لذا فإن الشيطان أحرص ما يكون على إشغال العبد بالمفضول عن الفاضل، حتى تفوته الدرجات العليا، ويُغبنَ في حظه منها. فهذا بابٌ من الفقه عظيم، ويحتاج معرفتَه كلُّ مسلم. ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع في معرفة **(أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال في ضوء العقيدة الإسلامية).**

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في أنه يتناول موضوعًا ينبغي لكل مسلم الفقه فيه ومعرفته؛ إذ به تُضاعَف الأجور والحسنات، وتعلو به عند الله الدرجات.

أهداف البحث:

١. معرفة المراد بالتضعيف في الأجر.
٢. بيان درجات التضعيف للأجور.
٣. معرفة أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال.

أسئلة البحث:

١. ما المراد بالتضعيف؟
٢. هل التضعيف للحسنات درجة واحدة؟
٣. ما أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال؟

منهج البحث:

اعتمدتُ المنهجَ الاستقرائي الاستنباطي؛ وذلك بجمع واستقراء نصوص الكتاب والسنة في أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة متبوعة بالفهارس.

المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأهدافه، وأسئلته، ومنهجه، وخطته.

التمهيد، وفيه: معنى العبادة، والتضعيف في اللغة والاصطلاح:

أولاً: معنى العبادة في اللغة والاصطلاح.

ثانيًا: معنى التضعيف في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة ودرجات التضعيف:

- **المطلب الأول:** ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة.
- **المطلب الثاني:** درجات التضعيف.

المبحث الثاني: أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال.

الخاتمة ثم الفهارس.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلّ اللهم وسلّم على رسولك الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين

التَّمهيد

معنى العبادة والتضعيف في اللغة والاصطلاح:

أولا: معنى العبادة في اللغة والاصطلاح:

معنى العبادة في اللغة:

قال ابن فارس: "العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان. **والمعنى الأول:** يدل على لِينٍ وذُل. والمعنى الآخر: يدل على شدة وغلظ"(١).

والعبادة: الطاعة مع الخضوع. والعبودية: الخضوع والتذلل. وتعبد الله العبد بالطاعة أي استعبده. ويُقال طريقٌ معَبَّدٌ إذا كان مُذلّلاً بكثرة الوطء(٢).

وقال الخليل: "عبد يعبد عبادةً؛ فلا يقال إلا لمن يعبد الله، وتعبد تعبُّدًا أي تفرَّد بالعبادة، واستعبدت فلانًا أي اتخذته عبدًا، وتعبَّد فلانٌ فلانًا أي صيَّره كالعبد له، وإن كان حرًّا"(٣).

العبادة في الاصطلاح:

عرَّف الشافعي (رحمه الله) العبادةَ بأنها: فعلُ ما أمَرَ الله به من الأقوال والأعمال، واجتناب ما نهى عنه، فقال: "وابتلى طاعتهم بأن تعبَّدهم بقولٍ وعمل، وإمساكٍ عن محارمه، وأثابهم على طاعتِه من الخلود في جنته، والنجاة من نقمته(٤).

وعرّفها ابن تيمية (رحمه الله) بأنها: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة(٥).

---

(١) **مقاييس اللغة لابن فارس**، مادة فضل ٢٠٥/٤.

(٢) **ينظر:** لسان العرب ٢٧١/٣-٢٧٢، **تهذيب اللغة للأزهري**، ١٣٨/٢.

(٣) **العين للخليل الفراهيدي**، ٤٨/٢.

(٤) **الرسالة للشافعي**، ٢٩/٢.

(٥) **ينظر:** مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٩/١٠.

وتعريف الشافعي (رحمه الله) يعد أجمع وأشمل؛ لأنه أدخل فيها التروكات، وجعلها من العبادة؛ فالله تعبَّدَنا بفعل الأوامر وبترك النواهي، فنحن نُؤجَر على الفعل والترك. أما تعريف ابن تيمية فلم يذكر التروك.

وقال ابن كثير: "العبادة في اللغة من الذلة؛ يُقال: طريق معبَّد وغير معبَّد أي مذلل. وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"(١). فالعمل إنما يكون عبادة إذا اكتمل فيه شيئان، وهما: كمال الحب مع كمال الذل.

ثانيا: معنى التضعيف في اللغة والاصطلاح:

التضعيف في اللغة:

قال ابن فارس: "الضاد والعين والفاء أصلان متباينان"(٢). ضِعْفُ الشيء: مِثْلُه الذي يُضَعِّفه وأَضْعافُه أَمثالُه كما قال تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء: ٧٥] أي ضِعف العذاب حَيّاً ومَيِّتاً، والضِّعف في كلام العرب على ضربيْن: أَحدهما المِثْل، والآخر أَن يكون في معنى تضعيف الشيء. وأَضعفَ الشيءَ و ضعَّفه وضاعفَه: زاد على أَصل الشيء وجعله مثليْه أَو أَكثر وهو التضعيف(٣).

وفي العجم الوسيط: "ضِعف الشيء أو العدد مثلُه أو هو الذي يُثنِّيه، فالأصل في معنى ضعف إذا أُضيف إلى العدد أن يكون ذلك العدد ومثلُه، فضعف الواحد اثنان وضعف العشرة عشرون وهكذا"(٤).

---

(١) **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، ٢٦/١.

(٢) **مقاييس اللغة لابن فارس**، ٢٦٢/٢.

(٣) **ينظر:** لسان العرب لابن منظور ٢٠٤/٩، و**ينظر:** مقاييس اللغة لابن فارس ٣٦٢/٣.

(٤) **المعجم الوسيط لمجموعة من المؤلفين**، ٥٤٠/١.

التضعيف اصطلاحا:

المراد بتضعيف ومضاعفة الحسنات في النصوص: تكثير ثوابِها[1] وفق المعنى اللغوي السابق، بأن يُضاف إلى ثواب الحسنة مثلها أو أكثر. وهذه المضاعفة قد تكون ثابتة لكل حسنة، وقد تكون متوقفة على وجود سببها.

قال الرازي: "واعلم أن المراد من هذه المضاعفة ليس هو المضاعفة في المدة؛ لأن مدة الثواب غير متناهية، وتضعيفُ غير المتناهي مُحال؛ بل المراد أنه –تعالى– يضعِّفه بحسب المقدار. مثلًا: يستحق على طاعته عشرة أجزاء من الثواب، فيجعله عشرين جزءاً، أو ثلاثين جزءاً، أو أزيَد"[2].

(١) **ينظر:** الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٧/٥.

(٢) **مفاتيح الغيب للرازي،** ٨٤/١٠.

المبحث الأول
ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة ودرجات التضعيف

المطلب الأول
ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة

ثبتت الأدلة من الكتاب والسنة على تفاضل العبادات عند الله، ومضاعفة أجور بعض الأعمال دون بعض، وهذه النصوص كثيرة لا حصر لها، وتنوَّعت هذه الأدلة ما بين أدلة دالة على المضاعفة المطلقة، أو أدلة عيَّنت قدرَ المضاعَفة لعبادات معينة، أو بأحوال معينة.

أولا: الأدلة الدالة على أن الأجر مضاعف مطلقا، وقد وردت بألفاظ متنوعة، ومنها:

(أ) ما ورد بمضاعفة الأجر:

(١) قوله – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠].

(٢) قوله – تعالى –: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

(٣) قوله – تعالى –: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الروم: ٣٩].

(٤) قوله – تعالى –: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ: ٣٧].

(ب) ما ورد بلفظ الزيادة:

(١) قوله – تعالى –: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ١٧٣].

قال ابن عطية: "قالت فرقة: هو تضعيف الحسنات من العشر إلى السبعمائة وتوفيَة الأجور"(١).

(٢) قوله – تعالى–: ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٨].

قال القرطبي: "يحتمل على وجهين: أحدهما، ما يضاعفه من الحسنة بعشر أمثالها. الثاني، ما يتفضَّل به من غير جزاء"(٢).

(٣) قوله – تعالى–: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢٣].

قال مقاتل عند تفسيره الآية: "نضاعف له الحسنة الواحدة، عشرًا فصاعدًا"(٣).

(ج) ما ورد بلفظ بأن جزاء الحسنة خير منها:

قوله – تعالى–: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل:٨٩].

قال الشوكاني عند الآية:" وهو أن الله يجازيه بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف"(٤).

(د) ما ورد بلفظ بغير حساب منها:

قوله – تعالى–: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

قال قتادة في تفسير الآية: "لا والله ما هنا كم مكيال ولا ميزان"(٥).

ثانيا: الأدلة الدالة على تعيين قدر المضاعفة للأجر:

(١) قوله – تعالى–: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام:١٦٠].

---

(١) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**، ٤٣٨/٤.

(٢) **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، ٢٨١/١٢.

(٣) **تفسير مقاتل بن سليمان**، ١٧٧/٣.

(٤) **فتح القدير للشوكاني**، ١٨٨/٤.

(٥) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري**، ٢٠٤/٢٣.

(٢) قوله – تعالى–: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

(٣) قوله (ﷺ): **((كلُّ عملِ بن آدمَ يُضاعَفُ الْحسنَةُ عشْرُ أمْثَالِهَا إلى سبْعمِائَة ضعْفٍ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))**[١].

(٤) قوله (ﷺ) لمن جاء متصدقًا بناقة مخطومة[٢] في سبيل الله: **((لك بها يوم الْقيَامَةِ سبعمائة ناقَةٍ كُلُّها مخْطُومَةٌ))**[٣].

قال النووي: "قيل: يُحتمل أن المراد له أجر سبعمائة ناقة، ويحتمل أن يكون على ظاهره ويكون له فى الجنة بها سبعمائة كل واحدة منهن مخطومة يركبهن حيث شاء للتنزه؛ كما جاء فى خيل الجنة ونجبها وهذا الاحتمال أظهر – والله أعلم–"[٤]، وكلا الاحتمالين لا يخرج عن معنى المضاعفة.

(٥) قوله (ﷺ): **((إنَّ هذه الصّلَاةَ عُرِضَتْ على مَن كان قبْلَكُمْ فضَيَّعُوهَا فمَنْ حافَظَ عليها كان له أجْرُهُ مرَّتَيْنِ، ولا صلَاةَ بعْدَهَا حتى يطْلُعَ الشَّاهدُ؛ وَالشَّاهدُ النّجْمُ))**[٥].

---

(١) **أخرجه البخاري (كتاب الصوم**، باب هل يقول: إني صائم إذا شتم) برقم: ٥٥٨٣،٥/٢٢١٥، وأخرجه مسلم (كتاب الصيام /باب فضل الصيام) برقم: ١١٥١، ٨٠٧/٢.

(٢) قال النووي: الخطام قريب من الزمام. **ينظر:** شرح صحيح مسلم للنووي ٣٨/١٣. والخِطامُ كلُّ ما وُضِع في أَنف البعير ليُقاد به. **ينظر:** لسان العرب ١٨٧/١٢.

(٣) أخرجه مسلم (كتاب الإمارة/باب الصدقة في سبيل الله) برقم:١٨٩٢، ١٥٠٥/٣.

(٤) **شرح صحيح مسلم للنووي**، ٣٨/١٣.

(٥) **أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب الأوقات التي نُهي عن الصلاة فيها)**، برقم: ٨٣٠، ٥٦٨/١.

المطلب الثاني
درجات التضعيف

من خلال النظر في النصوص، يمكننا القول بأن درجات المضاعفة للحسنات ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مضاعفة الحسنة إلى عشر حسنات:

هذه الدرجة هي أقل ما يناله أي عامل من المسلمين كما قال – تعالى–: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام:١٦٠] فقد وعد الله بأن جزاء الحسنة بعشر أمثالها.

قال ابنُ جَرِيرٍ عند تفسير الآية: "فلَه عَشرُ حَسَناتٍ أمثالِ حَسَنَتِه التي جاءَ بها"(١).

قال ابن رجب: "ومضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازمٌ لكل الحسنات"(٢).

الدرجة الثانية: مضاعفة الحسنة أكثر من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف:

وهذا القدر من المضاعفة ثابت بمنطوق الأحاديث الصحيحة ومنها ما ثبت عن النبي (ﷺ) فيما يرويه عن ربه – تعالى– قال: **((إنَّ اللّهَ كتَبَ الْحسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثمَّ بيَّنَ ذلك؛ فمَنْ همَّ بحَسَنَةٍ فلم يعْمَلْهَا كتَبَهَا الله له عنْدَهُ حسَنَةً كَاملَةً، فَإنْ هو همَّ بها وعملها كتَبَهَا الله له عنْدَهُ عشْرَ حسَنَاتٍ إلى سبعمائة ضعْفٍ إلى أضْعَافٍ كَثيرَةٍ، ومَنْ همَّ بسَيِّئَةٍ فلم يعْمَلْهَا كتَبَهَا الله له عنْدَهُ حسَنَةً كَاملَةً، فَإنْ هو همَّ بها فَعَملَهَا كتَبَهَا الله له سَيِّئَةً وَاحدَةً))**(٣).

---

(١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري**، ١٠٧/٨.

(٢) **جامع العلوم والحكم**، ٣٥٠/١.

(٣) **أخرجه البخاري (كتاب الرقاق/باب من همَّ بحسنة أو سيئة)**، برقم: ٦١٢٦، ٢٣٨٠/٥، وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان/باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، وإذا هم بسيئة لم تكتب) برقم: ١٣٠، ١١٨/١.

وقال (ﷺ) فيما رواه عن رب العزة: ((كلُّ عملِ بن آدمَ يُضاعَفُ الْحسَنَةُ عشْرُ أمْثَالِهَا إلى سبْعمِائَة ضعْفٍ إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به))[1]. وغيرها من الأحاديث التي فيها أن الله يُضاعف الحسناتِ لبعض عباده إلى سبعمائة ضعف فضلًا منه ونعمة؛ بحسب الأسباب التي سيأتي ذكرها – إن شاء الله–.

وقد جاء ذكر المضاعفة إلى سبعمائة ضعف في النفقة في سبيل الله، كما قال –تعالى–: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة:٢٦١]؛ فهذه الآية تقتضي أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف.

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تُضاعَف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف... وهذا المثل أبلغ في النفوس من ذكر عدد السبع مئة؛ فإن هذا فيه إشارة إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله (ﷻ) لأصحابها، كما ينمي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة"[2].

وقد جاءت السنة مصرِّحة بذلك فقد قال (ﷺ) لمن جاء متصدقًا بناقة مخطومة في سبيل الله: ((**لك بها يوم الْقيَامَةِ سبعمائة ناقَةٍ كُلُّها مخْطُومَةٌ**))[3]. وقال (ﷺ): ((**من أنفق نفَقَةً في سبِيلِ اللّهِ كُتِبتْ بِسَبعِمِائَةِ ضعِفٍ**))[4].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، ٣١٧/١.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) **أخرجه أحمد في مسنده** برقم: ١٩٠٥٨، ٣٤٥/٤، والنسائي في الكبرى (كتاب الجهاد/باب النفقة في سبيل الله) برقم:٤٣٩٥، ٣٣/٣. وحسَّنه الترمذي في جامعه (كتاب فضائل الجهاد/باب ما جاء في النفقة في سبيل الله) برقم: ١٦٢٥، ١٤٣/٤-١٤٤.

وهذه الأدلة كلها صرَّحت بأن ثواب النفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف، وليس فيها نفي التضعيف عن غيرها، بل جاء تعميمُ التضعيف إلى سبعمائة ضعف في جميع الحسنات في الأحاديث السابقة(١).

الدرجة الثالثة: مضاعفة الحسنة أكثر من سبعمائة ضعف وإلى ما شاء الله:

وقد دل الحديث على هذا القدر من التضعيف في قوله (ﷺ) فيما يرويه عن ربه – تعالى– قال: ((...**فَإِنْ هو همَّ بها وعملها كتَبَهَا الله له عنْدَهُ عشْرَ حسنَاتٍ إلى سبعمائة ضعْفٍ إلى أضْعَافٍ كَثيرَةٍ، ومَنْ همَّ بسَيِّئَةٍ فلم يعْمَلْهَا كتَبَهَا الله له عنْدَهُ حسنَةً كَاملَةً، فَإِنْ هو همَّ بها فَعَمِلَهَا كتَبَهَا الله له سَيِّئَةً وَاحدَةً**))(٢). ويشهد لهذه الدرجة من التضعيف قوله –تعالى–: ﴿**وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [البقرة:٢٦١]، والمعنى يُضاعف لمن يشاء فوق ذلك، فلا يقتصر به على السبعمائة؛ بل يجاوز في المضاعفة هذا المقدار إلى أضعاف كثيرة (٣).

(١) **ينظر:** المسائل العقدية المتعلقة بالحسنات والسيئات د. صالح السندي ٦٥٦/٢.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **ينظر:** فتح القدير للشوكاني ٢٨٤/١.

المبحث الثاني
أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال

العبادات تتفاضل من حيث الأجر والثواب باعتبارات متعددة، وسأذكر فيما يأتي جملةً من أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال:

(١) تضعيف أجر العبادة باعتبار الإخلاص لله – تعالى–:

الإخلاص لله في العمل هو الركن الأساس لكل عمل صالح، وهو الأصل الذي يُبنى عليه صحة العمل وقبوله عند الله –تعالى–، كما أن المتابعة في العمل هي الركن الثاني لكل عملٍ صالحٍ مقبول عند الله – تعالى–. وقد دلّ على هذين الأصلين قول الله –تعالى–: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]. قال ابن كثير: "أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: ما كان موافقًا لشرع الله ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ وهو الذي يُراد به وجهَ الله، وحده لا شريك له وهذان ركنا العمل المتقبَّل، لا بد أن يكون خالصًا لله صوابًا على شريعة رسول الله (ﷺ)"[(١)].

والأعمال تتفاضل عند الله بحسب قوة إخلاص فاعلها. فمن كان أقوى وأكثر إخلاصًا لله في عبادته، فثواب عبادته أكثر وأعظم؛ ولذا تقرر عند أهل العلم أن ثواب العبادة يزيد بحسب قوة إخلاص العابد وخلوص قصده لله – تعالى–[(٢)].

"وإذا عرف أن الحسنات والسيئات تتفاضل بالأجناس تارة، وتتفاضل بأحوال أخرى تُعرَض لها؛ تبيَّن أن هذا قد يكون أعظمَ من هذا، وهذا أعظم من هذا، والعبد قد يأتي بالحسنة بنيَّةٍ وصدقٍ وإخلاص، تكون أعظم من أضعافها"[(٣)].

---

(١) **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، ١٠٩/٣.

(٢) **ينظر:** فتح الباري لابن حجر ٦٠٤/٣–٦٠٥.

(٣) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٦٦٠/١١.

فالنية أصل الأعمال؛ ولذا كان التضعيف للأجر مبنيًّا عليها. يقول ابن كثير عند قوله –تعالى–: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٦١]": أي بحسب إخلاصه في عمله"(١).

بل جاء في النصوص ما يدل أن الابتلاء بين الناس بحسب قوة هذا الإخلاص كما قال – تعالى–: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] قال الفضيل: "أخلصُه وأصوبُه، وقال: العمل لا يُقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة"(٢).

فتفسيره (رحمه الله) أحسن العمل بالأخلص والأصوب، دليلٌ على تفاضل الأعمال باعتبار قوة الإخلاص والمتابعة فيها. والعمل اليسير الموافِق لمرضاة الرب وسُنة رسوله (ﷺ) أحبُّ إلى الله – تعالى– من العمل الكثير إذا خلا عن ذلك – أو عن بعض ذلك–؛ لذا كان الابتلاء بالأحسن عملًا.

قال ابن القيم: "فتفاضُلُ الأعمال عند الله –تعالى– بتفاضُلِ ما في القلوب من الإيمان، والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفِّر السيئات تكفيرًا كاملًا، والناقص بحسبه؛ وبهاتين القاعدتين تزول إشكالاتٌ كثيرة"(٣).

قال (ﷺ): ((بينما رجل يمشي في طريق، وجد غصنَ شوكٍ على الطريق؛ فأخَّره، فشكر الله له؛ فغفر له))(٤).

---

(١) **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، ٣١٨/١.

(٢) **تفسير البغوي**، ٣٦٩/٤.

(٣) **الوابل الصيب لابن القيم**، ص ١٩.

(٤) **أخرجه البخاري**، (كتاب المظالم/باب من أخَذَ الْغصْنَ وما يؤْذِي النـاس في الطَّرِيق فرَمَى بهِ) برقم:٢٣٤٠، ٨٧٤/٢، وأخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب/باب فضل إزالة الأذى عن الطريق) برقم: ٢٠٢١/١٩١٤،٤.

وقال (ﷺ): ((بَينَمَا كَلبٌ يطِيفُ برَكِيَّةٍ كادَ يَقْتلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتهُ بَغِيٌّ من بغَايَا بَني إسْرَائِيلَ؛ فنَزَعَتْ موقَهَا فسَقَتهُ؛ فَغفِرَ لها به))[1].

قال ابن القيم: "فقام بقلبها ذلك الوقت مع عدم الآلة، وعدم المعين، وعدم مَن تُرائيه بعملها؛ ما حملها على أن غرَّرت بنفسها في نزول البئر، وملء الماء في خفها، ولم تعبأ بتعرُّضِها للتلف، وحملها خفها بفيها وهو ملآن؛ حتى أمكنها الرقي من البئر، ثم تواضعها لهذا المخلوق الذي جرت عادة الناس بضربه؛ فأمسكت له الخف بيدها حتى شرب من غير أن ترجو منه جزاء ولا شكورا؛ فأحرقت أنوارُ هذا القدر من التوحيد ما تقدَّم منها من البغاء؛ فغفر لها"[2].

فالأعمال يعظُم قدرُها بما في القلوب التي تتفاضل بين العاملين، ولا يعرف مقادير ما في القلوب من الإيمان والإخلاص إلا الله -تعالى-. والأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب؛ فتكون صورة العملين واحدة، وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض[3].

قال ابن تيمية: "فهذه سقت الكلب بإيمان خالص كان في قلبها؛ فغفر لها. وإلا فليس كل بغى سقت كلبًا يُغفر لها، وكذلك هذا الذي نحَّى غصنَ الشوك عن الطريق، فعله إذ ذاك بإيمان خالص وإخلاص قائم بقلبه؛ فغفر له بذلك. فإن الأعمال تتفاضل بتفاضُلِ ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، وإن الرجلين ليكون مقامهما في الصف واحدًا، وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض، وليس كل من نحَّى غصنَ شوكٍ عن الطريق يُغفر له"[4].

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب الأنبياء/باب حديث الغار) برقم: ٣٢٨٠، ١٢٧٩/٣، وأخرجه مسلم (كتاب السلام/باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها) برقم: ١٧٦١/٢٢٤٥،٤.

(٢) **مدارج السالكين لابن القيم**، ٣٢٣/١.

(٣) **ينظر**: المصدر السابق.

(٤) **منهاج السنة لابن تيمية**، ٢٢١/٦-٢٢٢.

(٢) تضعيف أجر العبادة باعتبار المتابعة للرسول (ﷺ):

المتابعة هي الركن الثاني لقبول العمل الصالح؛ فمن عمل أي عمل من الصالحات لا بد أن يكون على سنته (ﷺ)، ففي الحديث: ((**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**))[١].

وحقيقة المتابعة في العمل هي امتثال هدي النبي (ﷺ) فيه، وتأديته على الوجه المشروع الذي كان عليه النبي (ﷺ)، فيفعل مثلما فعل على الوجه الذي فعل[٢].

فيجب متابعة النبي (ﷺ) في أصل مشروعية العمل، وتحقُّق شروطه وأركانه وواجباته التي لا تصح إلا بها، وهذه المتابعة مؤثرة في أصل قبول العمل. وكذلك المتابعة في كمال العمل، وهي المتابعة للنبي (ﷺ) في هديه الكامل للعمل، والإتيان به على أكمل الوجوه، وذلك بالإتيان بالسنن والمستحبات المصاحبة لهذا العمل. فالمتابعة في الإتيان بالسنن في العبادات مما يكمُل به العمل ويفضُل على غيره من الأعمال التي لم تتحقق فيها السنن؛ فالوضوء المستوفي السنن أفضل من الوضوء الذي لم تتحقق فيه. وهكذا القول في الصلاة والصوم والحج وسائر العبادات. فما تحققت فيه السنن أفضل من الذي لم تتحقق فيه.

ومن الأحاديث الدالة على هذا المعنى: حديث عثمان بن عفان (رضي الله عنه): ((أنه دعَا بإِنَاءٍ فَأَفرَغَ على كَفَّيهِ ثَلَاثَ مرَارٍ فَغَسَلَهمَا ثُمَّ أَدخَلَ يَمينَهُ في الْإِنَاءِ فَمَضمَضَ وَاستَنْثَرَ، ثمَّ غسلَ وَجهَهُ ثَلَاثَ مرَّاتٍ وَيَدَيهِ إلى الْمرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مرَّاتٍ ثمَّ مسَحَ برَأْسِهِ، ثمَّ غسلَ رجْلَيْهِ ثَلَاثَ مرَّاتٍ، ثمَّ قال: قال رسول اللَّهِ (ﷺ): من

(١) **أخرجه مسلم**، (كتاب الأقضية/باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم: ١٧١٨، ١٣٤٣/٣.

(٢) **ينظر:** مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٨٠/١.

توَضَّأَ نحو وضُوئِي هذا ثمَّ صلى رَكعَتَيْنِ لا يُحدِّث فيهِمَا نَفسَهُ غُفِرَ له ما تقَدَّمَ من ذَنْبهِ))[1].

فدل الحديث على حصول هذا الثواب العظيم لمن توضأ نحو وضوء رسول الله (ﷺ) المذكور، وصلى الصلاة الموصوفة في الحديث، ومعلومٌ أن الوضوء المذكور متضمنٌ لبعض السنن التي ليست من فروض الوضوء، كالغسلتين الثانية والثالثة، والإسباغ في الوضوء، وكذلك الصلاة المذكورة، وهي التي لا يُحدِّث المصلي فيها نفسه؛ فهي درجة عالية من الخشوع وحضور القلب، وتصح الصلاة الواجبة بدون هذا، ومع وجود حديث النفس، وإن كانت ليست كالأولى[2].

قال ابن بطَّال: "وأما من وسوس له الشيطان، وحدَّث نفسه في صلاته بأشياء دون قصدٍ منه لذلك؛ فإنه يُرجى أن تقبل صلاته ولا تبطل، وتكون دون صلاة الذي لم يحدِّث نفسه"[3].

فكلما كانت العبادة أتبع للرسول (ﷺ) وأحرص على هدْيه؛ كان ذلك أكثر أجراً.

فمن نوى عبادة من العبادات ولكنه عجز عنها؛ فإن الله يؤجره بنيته.

قال (ﷺ): ((من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازلَ الشهداء، وإن مات على فراشه))[4] ومن تمنَّى مالاً ليكون من المتصدِّقين نال بنيته أجرَ

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب الوضوء /باب المضمضة في الوضوء) برقم: ١٦٢، ٧٢/١، وأخرجه مسلم (كتاب الطهارة/باب صفة الوضوء وكماله) برقم: ٢٢٦، ٢٠٥/١ واللفظ له.

(٢) **ينظر:** تجريد الاتباع، د. عامر الرحيلي ص ٥٩

(٣) **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، ٢٥٠/١.

(٤) **أخرجه مسلم**، (كتاب الإمارة/باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله) برقم: ١٩٠٩، ١٥١٧/٣.

المتصدقين؛ كما قال (ﷺ): **((إنما الدُّنيا لأربعَةِ نفَر: عَبدٍ رزَقَهُ الله مالًا وَعِلمًا فهُوَ يتَّقِي فيه ربَّهُ ويَصِلُ فيه رحِمَهُ ويَعلَمُ للّهِ فيه حقًّا فهذَا بأفضَلِ المَنازِلِ. وَعَبدٍ رزَقَهُ الله عِلمًا ولم يَرزُقْهُ مالًا فهُوَ صادِقُ النِّيّةِ، يقول لو أنَّ لي مالًا لعَمِلْتُ بِعمَلِ فُلانٍ فهُوَ نيته فأَجْرُهُمَا سوَاءٌ...))**[(١)].

قال ابن تيمية بعد إيراد هذا الحديث: "هو في حكاية حال مَن قال ذلك، وكان صادقًا فيه وعلِم الله منه إرادةً جازمةً لا يتخلف عنها الفعل إلا لفوات القدرة؛ فلهذا استويا في الثواب والعقاب، وليست هذه الحال تحصل لكل من قال: "لو أن لي ما لفلان لفعلت مثل ما يفعل "إلا إذا كانت إرادته جازمة يجب وجود الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة"[(٢)].

(٣) تضعيف أجر العبادة باعتبار صحة المعتقد والإيمان بالله –تعالى–:

فإذا كان الإنسان حسنًا من حيث المعتقَد؛ فإن عمله وعبادته تكون أكثر ثوابًا من الذي يكون على خلاف ذلك.

قال بعض السلف: "وأهل السّنَّةِ إنْ قعَدَتْ بهِمْ أعمالهم قامَتْ بهِمْ عَقَائدُهُمْ، وأهل الْبدَعِ إذا قامَتْ بهِمْ أعْمَالُهُمْ قعَدَتْ بهِمْ عَقَائدُهُمْ"[(٣)].

ففرَّق بين مَن يمشي على صراطٍ مستقيم ومَن يمشي على طريق أصحاب الجحيم، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

---

(١) **أخرجه الترمذي**، (كتاب الزهد /باب مثل الدنيا مثل أربعة نفر) برقم: ٢٣٢٥، ٥٦٢/٤ وقال أبوعيسى: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٨٠٦٠، ٢٣١/٤، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب: ٢٦/١.

(٢) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٧٣٤/١٠.

(٣) **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ٣٢٩/٣.

قال ابن القيم: "تفاضُل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان"(١). قال رسول الله (ﷺ): **((من قال أَشْهَدُ أنْ لا إِلهَ إلا الله وحْدَهُ لا شريكَ لـــه وأَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ ورَسُولُهُ وأَنَّ عِيسى عبد اللّهِ وابن أَمَتِهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مــرْيَمَ ورُوحٌ منه وأَنَّ الْجنَّةَ حقٌّ وأَنَّ النّارَ حقٌّ أَدْخَلَهُ الله مــن أيِّ أَبْــوَابِ الْجنَّــةِ الثّمَانِيَةِ شاءَ))**(٢). فمَن كان على هذه العقيدة؛ نال هذا الفضلَ من الله -تعالى-.

قال السعدي: "ومن أسباب المضاعفة - وهو أصل وأساس لما تقدَّم-: صحةُ العقيدة، وقوة الإيمان بالله وصفاته، وقوة إرادة العبد، ورغبته في الخيــر؛ فــإن أهل العلم الكامل المفصَّل بأسماء الله وصفاته، وقوة لقاء الله، تُضاعَف أعمــالهم مضاعفةً كبيرة لا يحصل مثلها، ولا قريب منها لمن لم يــشاركوهم فــي هــذا الإيمان"(٣).

(٤) تضعيف أجر العبادة باعتبار العامل لها:

جاءت النصوص بذكر أناس تُضاعف أجورهم لرفعــة مقــامهم عنــد الله - تعالى- ومقاماتهم العالية في الإسلام، فإن الله شكور حليم، وجاءت النــصوص أيضًا بذكر أوصاف كتب الله لأصحابها مضاعفة الأجور ومنهم:

---

(١) **الوابل الصيب لابن القيم**، ص ٢٠.

(٢) **أخرجه البخاري**، (كتاب الأنبياء/باب قوله تعالى: "**يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم...**") برقم: ٣٢٥٢، ١٢٦٧/٣، وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان/باب الدليل على أن مــن مــات على التوحيد دخل الجنة قطعا) برقم: ٢٧، ٥٧/١.

(٣) **مجموع مؤلفات السعدي**، ٤٩/٢٤.

(١) رسول الله (ﷺ):

رسول الله (ﷺ) من الذين يُضاعف الله –تعالى– لهم الأجر مرتين؛ فقد صح عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: ((أَتَيْتُ النبي (ﷺ) في مَرَضهِ وهو يُوعكُ وعْكًا شَديدًا وقلت إنَّكَ لتُوعَكُ وعْكًا شَديدًا؛ قلت: إنَّ ذاكَ بأَنَّ لك أجْرَيْنِ، قال: أجَلْ...))[(١)].

(٢) أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن):

قال – تعالى–: ﴿ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الأحزاب:٣١]

قال ابن جرير: "نؤتِها أجرَها مرتين، يقول: يُعطيها الله ثواب عملها مثلَيْ ثوابِ عمل غيرهن من سائر نساء الناس"[(٢)].

وقال ابن القيم: "فإن المرتيْن هنا هما الضعفان، وهما المثلان، وهما مثلان في القدر"[(٣)].

وهذا يدل على أن العبد كلما عظُمت منزلتُه عند الله –تعالى– وكملت نعمة الله عليه بالإيمان؛ فإن الله يضاعف له أجره فضلًا من الله ونعمة.[(٤)]

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب المرضى/باب شدة المرض) برقم: ٥٣٢٣،٥/٢١٣٨، وأخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب/باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو غير ذلك) برقم:٢٥٧١، ١٩٩١/٤.

(٢) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري**، ١/٢٢.

(٣) **زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم**، ٢٤٥/٥.

(٤) **ينظر:** فتح الباري لابن حجر: ١٤٨/١.

(٣) الصحابة (رضي الله عنهم):

خص الله -تعالى- أصحاب رسول الله (ﷺ) بمزيدِ فضله؛ فضاعف حسناتهم، وكثّر أجورهم بما لا يدركه من بعدهم. كما قال (ﷺ): **((لا تسبُّوا أصْحَابِي فلوا أنَّ أحَدكُمْ أنْفَقَ مثْلَ أحُدٍ ذهَبًا ما بلَغَ مُدَّ أحَدِهِمْ ولا نصِيفَهُ))**(١).

فدل الحديث أن العمل القليل من أحد أصحابه (رضي الله عنهم) يفضُلُ العملَ الكثيرَ من غيرهم؛ لكمال إيمانهم، وحُسنِ إسلامهم (رضي الله عنهم) وصُحبتِهم لنبيِّهم (ﷺ)(٢).

(٤) مؤمن أهل الكتاب:

مؤمن أهل الكتاب الذي آمن بنبيِّه ثم آمن بالرسول (ﷺ)، يعطيه الله (عز وجل) أجره مرتين؛ كما قال -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [القصص:٥٢-٥٤] وقال -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد:٢٨]

وقال رسول الله (ﷺ): ((ثلَاثَةٌ يُؤتَوْنَ أَجرَهُمْ مرَّتَين: الرّجُلُ تكُونُ له الْأَمَةُ فيُعَلِّمُهَا فيُحْسِنُ تعْلِيمَهَا ويُؤَدِّبُهَا فيُحْسِنُ أدَبَهَا ثمَّ يُعْتِقُهَا فيَتزَوَّجُهَا؛ فلَهُ أجْرَانِ. ومُؤْمِنُ أهْلِ الْكِتابِ الذي كان مؤْمِنًا ثمَّ آمنَ بِالنّبِيِّ (ﷺ)؛ فلَهُ أجْرَانِ. والْعَبْدُ الذي يُؤدِّي حقَّ اللّهِ ويَنْصَحُ لِسيِّدِهِ))(٣).

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب فضائل الصحابة/باب قول النبي لوكنت متخذاً خليلًا) برقم:٣٤٧٠،٣/١٣٤٣.وأخرجه مسلم (كتاب فضائل الصحابة/باب تحريم سب الصحابة) برقم: ٢٥٤٠،٤/١٩٦٧.

(٢) **ينظر:** شرح العقيدة الواسطية للهراس ص١٦٦.

(٣) **أخرجه البخاري**، (كتاب الجهاد والسير/باب فضل من أسلم من أهل الكتاب) برقم: ٢٨٤٩، ٣/١٠٩٦. وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان/باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد (عليه السلام) إلى جميع الناس) برقم:١٥٤، ١/١٣٤.

(٥) العبد المملوك الذي أدَّى حقَّ الله وحقَّ سيِّدِه:

وسبق ذكرُه في الحديث السابق.

(٦) الرجل تكون له الأمَة فيحسن إليها ويعلمها؛ ثم يعتقها، ويتزوجها:

وسبق ذكرُه في الحديث السابق.

(٧) القارئ للقرآن وهو عليه شاق:

قال رسول الله (ﷺ): ((الْمَاهرُ بالْقُرْآنِ مع السّفَرَةِ الْكرَامِ الْبـرَرَةِ، وَالَّـذي يقْرَأُ القُرْآنَ ويَتَتَعْتَعُ[١] فيه وهو عليه شاقٌّ له أجْرَانِ))[٢].

قال النووي: "قوله: "له أجران" أجر بالقراءة وأجـر بتتعتعـه فـي تلاوتـه ومشقته... وليس معناه الذي يتتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بـل الماهر أفضل وأكثر أجرا؛ لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولـم يـذكر هـذه المنزلة لغيره وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعـالى وحفظـه واتقانـه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم"[٣].

(٨) الحاكم المجتهد:

قال رسول الله (ﷺ): ((إذا حكَمَ الْحَاكمُ فَاجتَهَدَ ثمَّ أصَابَ فلَـهُ أَجـرَانِ، وإذا حكَمَ فَاجتَهَدَ ثمَّ أَخطَأَ فلَهُ أَجرٌ))[٤].

---

(١) يتردَّدُ في قراءته وَيَتَلَدُّ فيها لسانُه. **ينظر:** لسان العرب لابـن منظـور: ٣٥/٨. قـال النووي:" يتتعتع الذي يتردد في تلاوته لضعف حفظه" شرح النووي على صحيح مـسلم ٨٥/٦.

(٢) **أخرجه مسلم،** (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضل الماهر بالقرآن والذي يُتَعتِع فيه) برقم: ٧٩٨، ٥٤٩/١.

(٣) **شرح النووي على صحيح مسلم،** ٨٥/٦.

(٤) **أخرجه البخاري،** (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة /باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصـاب أو أخطأ) برقم: ٦٩١٩، ٢٦٧٦/٦، وأخرجه مسلم (كتاب الأقضية /بـاب بيـان أجـر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) برقم: ١٧١٦، ١٣٤٢/٣.

(٩) الصدقة على الأقارب:

جاء النص يبين فضل الصدقة على الأقارب، وأن أجرها عند الله مُضاعف، كذلك المرأة التي تتصدق على زوجها وهي غنية؛ فتعطي زوجها ولا تُعيِّره لفقره؛ يُضاعَف أجرُها، فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) قالت: ((جئت إلى النبي (ﷺ) وجارة من الأنصار حاجتها حاجتي؛ فخرج علينا بلال، فقلنا: له ائت رسول الله (ﷺ) فأخبرْه أن امرأتين بالباب تسألان: أتجزئ الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتامٍ في حجرهما[1] ؟ فدخل بلال فسأله فقال (ﷺ): لها أجران؛ أجرُ القرابة، وأجرُ الصدقة))[2].

(١٠) المواظب على صلاة العصر:

ممن يُعطيهم الله (عز وجل) أجرهم مرتين: الذي يُواظب على صلاة العصر، فعن أبي بَصرَةَ الْغِفَارِيِّ قال: صلى بنَا رسول اللّهِ (ﷺ) الْعصْرَ بالْمُخَمَّصِ، فقال: ((**إنَّ هذه الصّلَاةَ عُرِضَتْ على مَن كان قبْلَكُمْ فضَيَّعُوهَا، فمَنْ حافَظَ عليها كان له أجْرُهُ مرَّتَيْنِ، ولا صلَاةَ بعْدَهَا حتى يطْلُعَ الشَّاهِدُ، وَالشَّاهِدُ النّجْمُ**))[3].

فأخبر رسول الله (ﷺ) أنَّ صَلاةَ العَصرِ فُرِضتْ على مَن كانَ قبلَنا من الأُممِ، فلم يَقوموا بحقِّها، ولمْ يُصلُّوها في وَقتِها، وتَهاوَنُوا فيها وتركُوها، ثُمَّ أَعْطاها اللهُ لأُمَّةِ الإسْلامِ، «**فمَن حافَظَ علَيها كانَ له أجرُه مرَّتَينِ**»؛ **الأجرُ**

---

(١) حَجْر الإنسان حضنه والجمع حجور، والمعنى في كنفه وتحت رعايته. **ينظر:** لسان العرب لابن منظور: ١٦٧/٤.

(٢) **أخرجه البخاري**، (كتاب الزكاة/باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر) برقم: ١٣٩٧، ٥٣٣/٢، وأخرجه مسلم (كتاب الزكاة/باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين) برقم: ١٠٠٠، ٦٩٣/٢.

(٣) سبق تخريجه.

الأوَّلُ، لأنَّه حافَظَ علَيها خِلافًا لمَن ضيَّعَها، والأَجرُ **الثَّاني**، أَجرُ عَمِلِه كَسائرِ الصَّلواتِ، ثم أخبر بالنهي عن الصلاة بعدها إلى الغروب.

(١١) الصابرون على البلاء:

الصابرون يعطيهم الله (ﷻ) أجرهم مرتين، قال –تعالى–: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴿٥٤﴾﴾ [القصص: ٥٤].

(٥) تضعيف أجر العبادة باعتبارِ تنزُّهِها عن الذنوب والمعاصي:

الأعمال الصالحة يعظم أجرها بتنزيهها عن الذنوب والمعاصي، والتي تنقص أجرها إن خالطت الأعمال. ومما ورد في السنة صريحًا في بيان تفاضُل الأعمال الصالحة بسبب تنزُّهِها عن الذنوب؛ قول رسول الله (ﷺ): **((من حجَّ لِلّهِ فلم يَرفُثْ ولم يَفسُقْ رجَعَ كَيَومِ وَلَدَتهُ أمُّهُ))**[(١)].

فدل الحديث أن هذا الثواب إنما استحقه من سلِم حجُّه من الرفث والفسوق وغيره من الآثام.

قال ابن رجب: "مما يكمُل به بر الحج، اجتناب أفعال الإثم فيه من الرفث، والفسوق والمعاصي"[(٢)].

(٦) تضعيف أجر العبادة باعتبار حسن الإسلام:

وذلك بفعل الواجبات وترك المحرَّمات، قال (ﷺ): **((إذا أحسن أحدكم إسْلامَهُ، فَكُلُّ حسَنَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بعَشْرِ أمْثالِها إلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُها تُكْتَبُ بمِثْلِها حتَّى يَلْقَى اللَّهَ))**[(٣)].

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب الحج/باب فضل الحج المبرور) برقم: ١٤٤٨، ٥٥٣/٢، وأخرجه مسلم (كتاب الحج /باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة) برقم: ١٣٥٠، ٩٨٣/٢.

(٢) **لطائف المعارف لابن رجب**، ص ٤١٧.

(٣) **أخرجه البخاري**، (كتاب الإيمان /باب حسن إسلام المرء) برقم: ٤٢، ٢٤/١، وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان /باب إذا هم العبد بحسنة كتبت) برقم: ١٢٩، ١١٧/١.

قال ابن رجب: "وقد جاءت الأحاديث بفضل مَن حسُن إسلامُه، وأنه تُضاعَف حسناتُه وتُكفَّر سيئاتُه. والظاهر أن كثرة المضاعفة تكون بحسب حسن الإسلام... فالمضاعفة للحسنة بعشرِ أمثالها لا بد منه، والزيادة على ذلك تكون بحسب إحسان الإسلام"(١).

فالمضاعفة إلى عشر حسنات لكل مسلم كما قال تعالى: ﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [الأنعام:١٦٠] ولكن الزيادة والمضاعفة إلى سبعمائة ضعف؛ إنما تكون لمن حسُن إسلامُه.

قال ابن حجر: "تضعيف حسنة العمل إلى عشرة مجزومٌ به، وما زاد عليها جائزٌ وقوعُه، بحسب الزيادة في الإخلاص، وصدق العزم، وحضور القلب، وتعدِّى النفع؛ كالصدقة الجارية، والعلم النافع، والسنة الحسنة، وشرف العمل **ونحو ذلك**"(٢).

ومن حُسنِ الإسلام ما قاله (ﷺ): ((من حُسْنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعنيه)).(٣) والمراد، ترك ما لا يعنيه من قولٍ أو فعلٍ، ويدخل في ذلك ابتداءً تركُ المحرمات؛ فإنها لا تعني المسلم، وكذا المكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج إليها؛ كل ذلك تركه من حسن إسلام صاحبه.

---

(١) **جامع العلوم والحكم لابن رجب**، ص ١١٦.

(٢) **فتح الباري لابن حجر**، ٣٢٦/١١.

(٣) **أخرجه الترمذي**، (كتاب الزهد/باب فيمَن تكلم بكلمة يضحك بها الناس) برقم: ٢٣١٧، ٥٥٨/٤، وأخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن/باب كف اللسان في الفتنة) برقم: ٣٩٧٦، ١٣١٥/٢، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ١٧٣٢، ٢٠١/١. وحسنه النووي في رياض الصالحين:٢٤/١، وحسنه المنذري في الترغيب والترهيب: ٣٤٥/٣.

(٧) تضعيف أجر العبادة باعتبار تعدِّي نفعِها؛ فيثاب عليها أكثر مما نفعه قاصر:

الأعمال الصالحة تنقسم باعتبار تعدِّيها للخلق واقتصارها إلى قسمين:

القسم الأول: أعمال مُقتصرة على العامل نفسه لا تتعدى لغيره، وهي سائر العبادات التي يتقرَّب بها العباد إلى ربهم فيما بينهم وبينه، من غير أن تتعلق بمخلوق.

القسم الثاني: أعمال مُتعدِّية للخلق، وهي كل الأعمال التي يتعدَّى نفعُها للمخلوقين، وتتحقق بها مصالحهم الدينية والدنيوية.

وقد قرر العلماء المحققون في أبواب المفاضلة بين الأعمال الصالحة، تفضيل الأعمال المتعدِّية على القاصرة؛ وذلك لما يحصل بالأعمال المتعدية من عموم النفع للخلق. واستدلُّوا لذلك بعامة النصوص التي دلَّت على تفضيل الأعمال المتعدية، والترغيب فيها، والثناء على أهلها. ومن ذلك: قوله –تعالى–: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت:٣٣].

فالدعوة إلى الله معدودة من العبادات التي يتعدى نفعُها، عن معمر قال: "تلا الحسن: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ قال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوةُ الله، هذا خيرةُ الله، هذا أحبُّ الخلق إلى الله؛ أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال إنني من المسلمين؛ فهذا خليفة الله"(١).

ومن الأحاديث الواردة في فضل العمل المتعدي على غيره؛ قوله (ﷺ): **((من دعَا إلى هُدىً كان له من الْأَجْرِ مثْلُ أجُورِ من تبِعَهُ لا ينْقُصُ ذلك من**

(١) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري**، ١١٨/٢٤.

أجُورِهِمْ شيئا، ومَنْ دعَا إلى ضلَالَةٍ كان عليه من الْإِثْمِ مثْلُ آثامِ مــن تبِعَــهُ لا ينْقُصُ ذلك من آثامِهِمْ شيئًا))[1].

ويتبع ذلك، تعليم العلم؛ ولذا كان رسول الله (ﷺ) كل عمل يعمله أحــد مــن أمته له مثل أجره؛ لأنه هو الدال لأمته والمعلم لها.

ولما كان الإحسان إلى الناس، بإصلاح ذات بينِهم، عظيم الأجر والنفع؛ كان أفضل من الصلاة والصيام والصدقة النافلة، قال رسول الله (ﷺ): ((ألا أخْبِرُكُمْ بأَفْضَلَ من درجَةِ الصّلاَةِ وَالصّيَامِ والصَّدَقَةِ؛ قالوا: بلَــى، قــال: إصْــلاَحُ ذاتِ البَيْنِ، وفَسَادُ ذاتِ البَيْنِ هي الْحَالقَةُ))[2] فكلما كان العمل أعظم نفعًا للإســلام والمسلمين، وكان له وقعٌ وأثرٌ ونفعٌ كبير، ومن ذلك: إصلاح ذات البين، وتعليم العلم؛ فإن الاشتغال بذلك لمن صحَّت نيتُه لا يوازنه عملٌ من الأعمال؛ لما فيــه من إرشاد الجاهلين، والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، والخير الكثير الذي لا يستغني عنه العباد.

ومن ذلك أيضًا: المشاريع الخيرية التي فيها إعانة المسلمين على أمور دينهم ودنياهم، التي يستمر نفعها وتسلسُل إحسانها؛ كما قال (ﷺ): **((إذا مات الإنــسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له))**[3].

---

(١) **أخرجه مسلم**، (كتاب القدر/باب من سنَّ سنَّةً حسنَةً أو سَيِّئَةً ومَنْ دعَــا إلــى هــدًى أو ضلَالَةٍ) برقم: ٢٦٢٧، ٤/٢٠٦٠. صحيح مسلم جزء ٤ صفحة ٢٠٥٩.

(٢) **أخرجه أحمد** في مسنده برقم: ٦،٢٧٥٤٨/٤٤٤ واللفظ له، وأخرجه أبــو داود (كتــاب الأدب/باب إصلاح ذات البين) برقم: ٤٩١٩، ٤/٢٨٠، وأخرجه البخــاري فــي الأدب المفرد، باب إصلاح ذات البين، برقم: ٣٩١، ص١٤٢. وصححه الترمذي وقــال هــذا حديث صحيح. **ينظر:** حديث رقم: ٢٥٠٩، ٤/٦٦٣.

(٣) **أخرجه مسلم**، (كتاب الوصية /باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعــد وفاتــه) بــرقم: ١٦٣١، ٣/١٢٥٥.

ويدخل في النفع المتعدي المضاعف أجره، إذا كان العمل له نفعٌ كبيرٌ؛ كما إذا كان فيه إنجاءٍ من مهلكة، وإزالة ضرر المتضررين، وكشف الكرب عن المكروبين، حتى البهائم إذا أُزيل ما يضرها؛ كان الأجر عظيمًا كما في قصة البغيِّ التي سقَت الكلبَ[1].

فخيار الخلق عند الله أنفعهم وخيارهم للناس؛ كما قال (ﷺ): ((أَحَبُّ الناس إلى اللّهِ تعَالَى أَنفَعُهُمْ للنّاس، وأَحَبُّ الأَعمَالِ إلى اللّهِ تعَالَى سرُورٌ تُدخِلُهُ على مُسلِمٍ، أو تكشِفُ عنه كُربَةً، أو تَقضِي عنه دَينًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا. ولأَنْ أَمشِيَ مع أخٍ في حاجَةٍ أحَبُّ إليَّ من أنْ أَعتَكِفَ في هذا المَسْجِدِ -يعني مَسجِدَ المَدِينَةِ- شَهرًا. ومَنَ كفَّ غضبَهُ ستَرَ اللّهُ عَورتَهُ، ومَنْ كظَمَ غَيظَهُ -ولَوْ شاءَ أنْ يُمضِيَهُ أَمضَاهُ- ملأَ اللّهُ قَلبَهُ رجَاءً يوم القِيَامَةِ. ومَنْ مشَى مع أخِيهِ في حاجَةٍ حتى يتَهيَّأَ له أَثبَتَ اللّهُ قدمَهُ يوم تَزِلُّ الأَقدَامِ))[2].

وقد يكون العمل القاصر أفضل من العمل المتعدي إذا كان واجبًا؛ فالصلاة المكتوبة وإن كانت قاصرة، إلا أنها أفضل من كثير من الأعمال النافلة المتعدية؛ بل والأعمال القاصرة بعد التوحيد؛ ففي الحديث قال رسول الله (ﷺ): **((اسْتَقيمُوا ولَنْ تُحصُوا واعْلَمُوا أنَّ خير أَعْمَالِكُمُ الصّلاَةُ...))**[3] فينبغي أن يُنتبَه لهذا.

---

(١) **ينظر:** مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (الفتاوى) ٢٤/٥٠.

(٢) **أخرجه الطبراني في المعجم الكبير** برقم: ١٣٦٤٦، ١٢/٤٥٣،ورواه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه برقم:٩٧. وقال المناوي في فيض القدير٢/٢٦: وللحديث شاهد مرسل والحاصل أنه حسن بشواهده.

(٣) **أخرجه أحمد في مُسنده** برقم: ٢٢٤٣٢، ٥/٢٧٦، وأخرجه ابنُ ماجه (كتاب الطهارة وسننها/باب المحافظة على الوضوء) برقم:٢٧٧، ١/١٠١، والطبراني في المعجم الكبير برقم: ١٤٤٤، ٢/١٠١. وقال المنذري في الترغيب والترهيب ١/٩٧: إسناده صحيح..

(٨) تضعيف أجر العبادة باعتبار المعارضات الخارجية والصوارف النفسية:

فكلما كانت المعارضات أقوى والدواعي للترك أكثر؛ كان العمل أكمل وأكثر مضاعفة، فمن المعارضات النفسية: الكسل، فكم كان له بالغ الأثر في الثنيِ عن كثير من الصالحات، والترقي في باب الفضائل. ومنه المخاوف التي تنقدح في نفس العامل من كلام الناس، أو خوفه على منصبه، وغير ذلك. ولا شك أن من أقبل على الطاعة -والحال هذه- عَظُم أجرُه عند الله؛ إذ لا يستوي من جاهد نفسَه على العبادة والطاعة، وألزمها فعلها مع كراهتها، مع مَن ليس عنده شيء من هذه الصوارف. فمَن تمسَّك بدينه مع وجود الفتن أعظم ثوابًا ممن نشأ في مجتمع لا يُوجد فيه شيء من الفتن. ولذا كانت العبادة زمنَ الفتن يُضاعِف الله لفاعلها الأجرَ والحسنات، فالقابض على دينه في آخر الزمان له أجر خمسين صحابيٍّ من أصحاب رسول الله (ﷺ)، كما في الحديث: ((...**إن من وَرَائكُمْ أيَّامًا الصّبْرُ فيهِنَّ مثْلُ الْقبْضِ على الْجمْرِ، للْعَامِلِ فيهِنَّ مثْلُ أجْرِ خَمْسينَ رجُلًا يعْمَلُونَ مثْلَ عَمَلِكُمْ، قال عبد اللّهِ بنُ الْمُبارَكِ وَزَادَني غيْرُ عُتْبةَ: قيلَ: يا رسُولَ الله، أجْرُ خَمْسينَ منَّا أو منهم؛ قال: بلْ أجْرُ خَمْسينَ منْكُمْ**))[1].

قال ابن تيمية: "وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلًا يعملها في ذلك الزمان؛ لأنهم كانوا يجدون من يُعينهم على ذلك، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يُعينهم على ذلك. لكن تضعيف الأجر لهم في

(١) **أخرجه الترمذي**، (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله (ﷺ)/باب ومن سورة المائدة) برقم: ٣٠٥٨، ٢٥٧/٥، وأخرجه ابن ماجه (كتاب/باب قوله تعالى: **(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)** برقم:٤٠١٤، ١٢٣٠/٢. وأخرجه الحاكم في مستدركه برقم: ٧٩١٢، ٣٥٨/٤، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٥/٧، وقال: رجاله رجال الصحيح غير سهل بن عامر البجلي وثقه ابن حبان.

أمور لم يُضعف للصحابة، لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة، ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة؛ فإن الذى سبق إليه الصحابة من الايمان، والجهاد، ومعاداة أهل الأرض في موالاة الرسول وتصديقه"(١).

وفي الحديث الآخر، أن النبي (ﷺ) قال: **((العبادة في الهرج كهجرةٍ إليَّ))**(٢)

قال النووي: "المراد بالهرج هنا: الفتنة، واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفراد"(٣).

ومِثل هذا الذي يقرأ القرآن مع المشقة، فقد قال رسول الله (ﷺ): **((الذي يقرأ القرآن وهو عليه شاق له أجران))**(٤) أجر التلاوة، وأجر المشقة.

يقول ابن دقيق: "الأجور قد تتفاوت بحسب زيادة المشقات، لا سيما ما كان أجره بحسب مشقته، أو لمشقته دخلٌ في الأجر"(٥).

وقد تكون العوارض نفسية؛ فكونُه يتوضأ بالماء البارد مع عدم وجود الماء الساخن وفي شدة البرد؛ أعظم أجرًا ممن يتوضأ بالماء البارد في شدة الحر، مع كونهما عبادة.

قال ابن القيم: "إن الله تعالى على العبد عبوديةَ الضراء، وله عبودية عليه فيما يكره، كما له عبودية فيما يحب. وأكثر الخلق يُعطون العبودية فيما يحبون، والشأن في إعطاء العبودية في المكاره؛ ففيه تفاوُتُ مراتب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله –تعالى–؛ فالوضوء بالماء البارد في شدة الحر عبودية،

---

(١) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٦٥/١٣.

(٢) **أخرجه مسلم**، (كتاب الفتن وأشراط الساعة/باب فضل العبادة في الهرج) برقم:٢٩٤٨.

(٣) **شرح النووي على صحيح مسلم**، ٨٨/١٨.

(٨٣) سبق تخريجه.

(٥) **إحكام الأحكام لابن دقيق العيد**، ٢٢٨/٤.

ومباشرة زوجته الحسناء التي يحبها عبودية، ونفقته عليها وعلى عياله ونفسه عبودية. هذا، والوضوء بالماء البارد في شدة البرد عبودية، وتركه المعصية التي اشتدت دواعي نفسه إليها من غير خوفٍ من الناس عبودية، ونفقته في الضراء عبودية، ولكنْ فرقٌ عظيم بين العبوديتين: فمن كان عبدا لله في الحالتين قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب؛ فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦] وفي القراءة الأخرى (عِباده)، وهما سواء؛ لأن المفرد مضاف؛ فيعم عموم الجمع. فالكفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة مع الناقصة"[(١)].

والمشقة ليست مقصودة لذاتها في العبادة، وليس للعبد أن يقصدها بذاتها؛ وإنما إذا وقعت في العبادة ضمناً وتبعًا؛ فالقيام بها مع المشقة يزيد معه الثوابُ والأجر.

قال النووي: "الثواب والفضل في العبادة يكثر بكثرة النصَبِ والنفقة، والمراد: النصب الذي لا يذمه الشرع"[(٢)]. ولا يعني هذا أن العمل الشاق أفضل مطلقًا، فهذا ليس بصحيح؛ فقد يكون الأيسر أفضل، وقد يكون الأشق أفضل.

قال ابنُ تيمية: "خير الأعمال ما كان لله أطوع، ولصاحبه أنفع، وقد يكون ذلك أيسرَ العمليْن، وقد يكون أشدهما؛ فليس كل شديد فاضلًا ولا كل يسير مفضولاً"[(٣)]. فقد تعظم العبادة اليسيرة على العبادة الشاقة؛ لشرف زمانها؛ كقيام ليلة القدر بالنسبة لغيرها من ليالي رمضان، وصلاة ركعتين في المسجد الحرام

(١) **الوابل الصيِّب لابن القيم**، ص ١١-١٢.

(٢) **شرح النووي على صحيح مسلم**، ١٥٢/٨-١٥٣.

(٣) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٣١٣/٢٢.

بالنسبة لركعات في غيره، وصلاة الفريضة بالنسبة لعددٍ كثير من الركعات الطويلة النافلة[١].

(٩) تضعيف أجر العبادة، باعتبار الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان والمراقبة وحضور القلب: فقد يحقِّق العبدُ في عبادته الإخلاص والمتابعة، ولكنه لم يحقق مقام الإحسان والمراقبة، بحيث يكون في غفلة.

قال ابن رجب: "وأما من أحسن عمله وأتقنه، وعمله على الحضور والمراقبة؛ فلا ريب أنه يتضاعف بذلك أجره وثوابه في هذا العمل بخصوصه، على من عمل ذلك العمل بعينه على وجه السهو والغفلة"[٢] فمَن يفعل العبادة مع حضور قلبٍ، ليس كمن يفعلها وعنده غفلة؛ فصلاة حاضر القلب ليست كصلاة مَن لم يحضر قلبه؛ ولذا كانت أعلى درجات المصلين مَن حقَّق مقام الإحسان، يقول ابن القيم في أقسام المصلين: "الخامس من إذا قام إلى الصلاة قام إليها وقد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه (ﷻ) ناظرًا بقلبه إليه مراقبًا له، ممتلئًا من محبته وعظمته؛ كأنه يراه ويشاهده وقد اضمحلَّت تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه؛ فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه (ﷻ) قرير العين به"[٣].

وأعمال القلوب عمومًا حسناتُها عظيمة، ومستمرة أكثر من أعمال الجوارح، فأعمال الجوارح تُضاعَف إلى حدٍّ معلوم ومحسوب؛ أما أعمال القلوب فلا ينتهي تضعيفها؛ لأنها متصلة ومستمرة، وإن توارى شهود العبد لها[٤].

---

(١) **ينظر:** فتح الباري لابن حجر ٦١١/٣.

(٢) **فتح الباري لابن رجب،** ١٤٩/١.

(٣) **الوابل الصيب لابن القيم،** ص ٣٩

(٤) **ينظر:** مدارج السالكين لابن القيم ٢٢٨/٢.

و"**مثاله:** أن المحبة والرضى حال المحب الراضي لا تفارقه أصلًا، وإن توارى حكمها؛ فصاحبها في مزيد متصل، فمزيد المحب الراضي متصل بدوام هذه الحال له، فهو في مزيد ولو فتَرت جوارحُه؛ بل قد يكون مزيدُه في حال سكونه وفتوره أكثر من مزيد كثير من أهل النوافل، بما لا نسبة بينهما، ويبلغ ذلك بصاحبه إلى أن يكون مزيده في حال نومه أكثر من مزيد كثير من أهل القيام، وأكله أكثر من مزيد كثير من أهل الصيام والجوع. فإن أنكرت هذا؛ فتأمل مزيد نائم بالله، وقيام غافلٍ عن الله؛ فالله (ﷻ) إنما ينظر إلى القلوب والهمم والعزائم لا إلى صور الأعمال"[1].

وقد جاءت السنة بذكر أحوالٍ يكون الناس في غفلة، ومن ذلك: ما جاء في الحديث أن أسامة بن زيد قال: ((قلت يا رسول الله، لِمْ أَرَكَ تصُومُ شهْرًا من الشّهُورِ ما تصُومُ من شعْبَانَ؛ قال ذلك شهْرٌ يغْفُلُ الناس عنه بين رجَبٍ ورَمَضَانَ، وهو شهْرٌ تُرْفعُ فيه الْأَعْمَالُ إلى ربِّ الْعَالَمينَ؛ فَأُحبُّ أنْ يُرْفعَ عَمَلي وأنا صَائمٌ))[2].

وفيه دليل على استحباب الطاعة أوقاتَ غفلة الناس، وأن ذلك محبوبٌ لله – تعالى– أنه أشق على النفوس؛ وذلك أن النفوس تتأسَّى بما تُشاهده من أحوال الناس، فإذا كثرت يقظة الناس كثر أهل الطاعة، وإذا كثرت الغفلة تأسَّى بأهل الغفلات عموم الناس.

قال السعدي: "ومن أهم ما يُضاعَف فيه العمل: الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان والمراقبة، وحضور القلب في العمل، فكلما كانت هذه الأمور أقوى؛

---

(١) **مدارج السالكين لابن القيم**، ٢٢٨/٢.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى برقم:٢٦٦٦، ١٢٠/٢ واللفظ له، وأخرجه أحمد في مسنده برقم: ٢١٨٠١، ٢٠٥/٥، وأخرجه البزار في مسنده برقم:٢٦١٧، ٦٩/٧. وحسنه المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠٨/٤.

كان الثواب أكثر... فالصلاة ونحوها، وإن كانت تُجزئ إذا أتى بصورتها الظاهرة، وواجباتها الظاهرة والباطنة؛ إلا أن كمال القبول، وكمال الثواب، وزيادة الحسنات، ورفعة الدرجات، وتكفير السيئات، وزيادة نور الإيمان، بحسب حضور القلب في العبادة. ولهذا كان من أسباب مضاعفة العمل حصولُ أثره الحسَن في نفع العبد، وزيادة إيمانه، ورقّة قلبه، وطمأنينته، وحصول المعاني المحمودة للقلب من آثار العمل؛ فإن الأعمال كلما كملت، كانت آثارها في القلوب أحسن الآثار، وبالله التوفيق"[1]

(١٠) تضعيف أجر العبادة، باعتبار شرف الزمان والمكان: الحسنات تُضاعَف في الزمان الفاضل والمكان الفاضل، فالزمان مثل: رمضان، وليلة القدر، وعشر ذي الحجة. فأما الصيام فقد ثبت في الحديث القدسي يقول الله – تعالى–: ((كلُّ عملِ ابن آدمَ يُضاعَفُ الْحسَنَةُ عشْرُ أمْثَالِهَا إلى سبْعمِائَة ضعْفٍ، قال الله (ﷻ) إلا الصّوْمَ فإنه لي وأنا أجْزِي بهِ...))[2].

وهذا يدل على أن الصيام لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه إلا الله – تعالى–، والصوم أيضًا من جنس الصبر؛ بل هو أفضل أنواع الصبر[3] الذي قال الله – تعالى– فيه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر:١٠].

وهكذا يقع التفاضُل والتضعيف للعبادة بشرف وفضل المكان: كالحرمين، فإن الحسنات تضاعف في مكةَ والمدينة مضاعفة كبيرة، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((**صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة**

(١) **مجموع مؤلفات السعدي**، ٥١/٢٤.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) **ينظر:** جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٣٥١.

في ما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا))[1].

فدل ذلك على أن الصلاة بالمسجد الحرام تُضاعف بمائة ألف صلاة في سوى المسجد النبوي، وتضاعف بألف صلاة في مسجد النبي ، وبقية الأعمال الصالحة تُضاعف؛ ولكن لم يرِد فيها حدٌّ محدود؛ إنما جاء الحدُّ والبيان في الصلاة، أما بقية الأعمال؛ كالصوم والأذكار وقراءة القرآن والصدقات، فلا يوجد فيها نص ثابت يدل على تضعيف محدد؛ وإنما فيها -في الجملة- ما يدل على مضاعفة الأجر، وليس فيها حدٌّ محدود.

أما السيئات، فالذي عليه المحققون من أهل العلم أنها لا تُضاعف من جهة العدد، ولكن تُضاعف من جهة الكيفية، أما العدد فلا؛ لأن الله (ﷻ) يقول:﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾** ﴾. [الأنعام: ١٦٠].

فالسيئات لا تُضاعف من جهة العدد -لا في رمضان ولا في الحرم ولا في غيرها-؛ بل السيئة بواحدة دائمًا، وهذا من فضله (ﷻ) وإحسانه. ولكن سيئة الحرم وسيئة رمضان وسيئة عشر ذي الحجة أعظم إثمًا من السيئة فيما سوى ذلك، فهي تُضاعَف من جهة الكيفية؛ لا من جهة العدد. أما الحسنات، فهي تُضاعَف كيفيةً وعددًا بفضل الله (ﷻ)[2].

(١١) تضعيف أجر العبادة، باعتبار وجوبها، ومحبة الله تعالى لها: فكلما كانت العبادة فرضًا، وكانت أحبَّ وأرضى لله؛ كانت أفضل من غيرها، كما في الحديث القدسي، يقول الله -تعالى: **((من عادى لي وليًّا فقَدْ آذَنتُهُ بِالحَرْبِ، وما**

---

(١) رواه أحمد في مسنده برقم: ١٥٣٠٦، ٣٩٧/٣، وأصله في صحيح البخاري برقم: ١١٣٣، ٣٩٨/١. وصححه المنذري في الترغيب والترهيب ١٣٩/٢،

(٢) **ينظر:** زاد المعاد لابن القيم ٥١/١.

تقَرَّبَ إليَّ عَبدِي بشَيءٍ أحَبَّ إليَّ مِمّا افترَضْتُ عليه، وما يزَالُ عَبدِي يتَقَرَّبُ إليَّ بالنّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ...))[1].

فدل الحديث على أن الأعمال الواجبة أحبُّ إلى الله وأفضلُ من النوافل. يقول ابنُ حجر: "ويُستفاد منه أن أداءَ الفرائض أحبُّ الأعمال إلى الله"[2].

فإذا استوت مرتبة المشروعية فإن الحكم يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، وما يُناسب أوقاتهم، فلا يمكن جوابٌ جامعٌ مفصلٌ لكل أحد. ونحن إنما نتحدث عن تفاضُل العبادة على سبيل الإطلاق والعموم –لا على سبيل التعيين– . ومعلومٌ أن العبادات تتفاضل في جنسها، وتفضيل أجناس بعض العبادات على بعض ثابت، وقد جاءت أسئلة كثيرة للنبي (ﷺ) عن أحب وأفضل العمل إلى الله، وتنوَّعت إجاباته لهم، فقد كان السائلون يستفصلون عن أفضل العمل على سبيل الإطلاق.

وكلما كانت العبادة أحبَّ إلى الله؛ كانت مقدمةً على غيرها، كما جاءت بذلك أحاديث كثيرة، ومنها: أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: ((سألت النبي (ﷺ) أيُّ الْعمَلِ أحَبُّ إلى اللّهِ؟ قال: **الصّلَاةُ على وَقْتِهَا قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ برُّ الْوَالدَيْنِ قال: ثمَّ أيٌّ؟ قال: الْجِهَادُ في سَبيلِ اللّهِ قال: حدَّثَني بهِنَّ ولَوْ اسْتَزَدْتهُ لَزَادَني))**[3].

وسُئل (ﷺ): **((أيُّ العَمَلِ أَفضَلُ؟ قال: إيمانٌ باللّهِ ورَسُولِهِ، ثمَّ الجِهَادُ، ثمَّ حجٌّ مَبرُورٌ))**[4].

---

(١) **أخرجه البخاري**، (كتاب الرقاق /باب التواضع) برقم: ٦١٣٧، ٢٣٨٤/٥.

(٢) **فتح الباري لابن حجر**، ٣٤٣/١١.

(٣) **أخرجه البخاري**، (كتاب الصلاة/باب فضل الصلاة لوقتها) برقم: ٥٠٤، ١٩٧/١.

(٤) **أخرجه البخاري**، (كتاب العتق/باب أي الرقاب أفضل) برقم: ٢٣٨٢، ٨٩١/٢، وأخرجه مسلم (كتاب الإيمان/باب بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال) برقم:٨٩/٨٥،١.

قال ابنُ بطال: "وفيه أن أعمال البر يفضُل بعضُها بعضًا عند الله"[١].

وعموم النصوص دالة على أن أفضل الأعمال: الشهادتان مع توابعهما من بقية أركان الإسلام، أو الصلاة مع بقية فرائض الأعيان التي هي من حقوق الله -تعالى-، ثم يلي ذلك في الفضل حقوق العباد التي هي فروض أعيان؛ كبِرِّ الوالدين، ثم بعد ذلك أعمال التطوع المقربة إلى الله -تعالى-؛ وأفضلها الجهاد[٢].

ويقول ابن القيم: "والمعول عليه في ذلك كله: إيثار أحب الأمرين إلى الرب تعالى، وذلك يُعرف بنفع العمل وثمرته من زيادة الإيمان به، وترتب الغايات الحميدة عليه، وكثرة مواظبة الرسول (ﷺ) وشدة اعتنائه به، وكثرة الوصية به، وإخباره أن الله يحب فاعلَه، ويُباهي به الملائكة، ونحو ذلك"[٣].

وبالجملة، فكلما كان العبد أشبه بحال رسول الله (ﷺ) باطنًا وظاهرًا؛ كان أفضل وأكمل، ولا يتم هذا للعبد حتى يكون أحرصَ ما يكون على مرضاة الله وطلب محبته في كل وقت، بما هو مقتضى ذلك الوقت[٤].

يقول السعدي (رحمه الله)**:** "القاعدة الثالثة والثلاثون: إذا تزاحمت المصالح قُدِّم الأعلى منها، فيُقدَّم الواجب على المستحب، والراجح مصلحةً على المرجوح"[٥].

فتقرر بهذا تفضيل الفرائض على النوافل، وأن النوافل مهما بلغت لا تبلغ درجة الفرائض في الأجر والثواب عند الله -تعالى-؛ بل إن النوافل لا تكون مقبولة عند الله حتى تؤدى الفرائض، كما هو مقرر في النصوص.

---

(١) **شرح صحيح البخاري لابن بطال**، ١٥٧/٢.

(٢) **ينظر:** فتح الباري لابن رجب ٢١٧/٤.

(٣) **مدارج السالكين لابن القيم**، ١١٥/٢.

(٤) **ينظر:** مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٣٨/١٠.ومدارج السالكين لابن القيم ١٠٠/١.

(٥) **القواعد والأصول الجامعة**، ص ١٥٠.

قال ابن حجر: "قال بعض الأكابر: مَن شغله الفرضُ عن النفل؛ فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض؛ فهو مغرور"(١).

فمما يضعّف أجره من العبادات ما كان أحبَّ إلى الله من غيره؛ فالمداومة على العمل –وإن كان قليلًا– أحبُّ إلى الله وأفضلُ من العمل المنقطع –وإن كان كثيرًا–. فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ): **((أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إلى اللّهِ تعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))**(٢)، وكَانَتْ عَائشَةُ إذا عَمِلَتْ الْعمَلَ لَزمَتْهُ.

وعنها (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ): ((أيُّ الأَعْمَالِ أحَبُّ إلى اللّهِ قال أَدوَمُهَا وإِنْ قَلَّ، وقال: اكلَفُوا من الأَعْمَالِ ما تطِيقُونَ))(٣).

فكان عمل رسول الله (عليه السلام) ديمة، أي: دائم غير منقطع، ودل هذان الحديثان أن أحب وأفضل الأعمال إلى الله –تعالى– ما كان فيه أمران:

(١) ما داوم عليه صاحبه – وإن كان قليلًا–، وهكذا كان عمل رسول الله (ﷺ) وأزواجه من بعده.

(٢) أن أحب الأعمال إلى الله ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير(٤).

وقد اجتهد العلماء في معرفة سبب تفضُّل العمل الدائم غير المنقع عما سواه من الأعمال، فنقل ابن حجر عن بعض العلماء قولهم: "إنما أُحب الدائم لمعنييْن:

---

(١) **فتح الباري لابن حجر**، ٣٤٣/١١.

(٢) **أخرجه مسلم**، (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره) برقم: ٧٨٣، ٥٤١/١.

(٣) **أخرجه البخاري**، (كتاب/باب القصد والمداومة على العمل) برقم: ٢٣٧٣/٦١٠٠،٥، وأخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره) برقم:٧٨٢، ٥٤١/١.

(٤) **ينظر:** المحجة في سير الدلجة لابن رجب ص ٤٥–٤٦.

الأول: أن التارك للعمل بعد الدخول فيه كالمعرض بعد الوصل؛ فهو متعرِّض للذم، ولهذا ورد الوعيد في حق من حفظ آية ثم نسيَها، وإن كان قبل حفظها لا يتعيَّن عليه.

الثاني: أن مداوم الخير ملازمٌ للخدمة، وليس مَن لازم الباب في كل يوم وقتًا ما، كمَن لازم يومًا كاملًا ثم انقطع"[(١)].

فالتخفيف في العمل يكون معه الدوام والنشاط، فيكثر الثواب لتكرار العمل، وفراغ القلب؛ بخلاف العمل الشاق، فإنه يكون معها التشويش والانقطاع غالبًا[(٢)].

فالسنة أن يلتزم ما التزمه رسول الله (ﷺ) في السفر والحضر؛ كركعتي الفجر، والوتر وقيام الليل، وما كان يلتزمه في الحضر فقط دون السفر التزمه اقتداء به (عليه السلام)؛ كالسنن الراتبة. وهدي رسول الله (ﷺ) أكمل الهدي.

قال ابن تيمية: "ومما ينبغي أن يعرف، أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق؛ حتى يكون العمل كل ما كان أشق كان أفضل – كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل شيء–؛ لا، ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته وفائدته، وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله، فأي العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع؛ كان أفضل، فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة؛ وانما تتفاضل بما يحصل في القلوب حالَ العمل"[(٣)].

---

(١) **فتح الباري لابن حجر**، ١٠٣/١.

(٢) **المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي**، ٤١٣/٢.

(٣) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٢٨١/٢٥-٢٨٢.

(١٢) تضعيف أجر العبادة باعتبار واجب وقتها الذي شُرعت فيه على غيرها:

تأدية العبادات الواجبة في أوقاتها أفضل من تأديتها في غير تلك الأوقات؛ ولهذا عُني الفقهاء (رحمهم الله) بمباحث مواقيت العبادات، وبيان أوقات الفضيلة والاجزاء للعبادات؛ تنبيهًا لهذا الأمر وترغيبًا للناس في إدراك الفضل.

قال ابن قدامة: "الأوقات ثلاثة أضرب: وقت فضيلة، وجواز، وضرورة"[١].

وقال النووي: "وفيه بيان أن للصلاة وقت فضيلة ووقت اختيار"[٢].

فأفضل العبادة: العمل على مرضاة الرب في كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات في وقت الجهاد، الجهاد، وإن آل الأمر إلى ترك الأوراد؛ من صلاة الليل، وصيام النهار.

والأفضل في وقت حضور الضيف مثلًا: القيام بحقِّه والاشتغال به عن الورد **المستحب، وكذلك في أداء حق الزوجة والأهل.**

والأفضل في أوقات السِّحر: الاشتغال بالصلاة والقرآن والدعاء والذِّكر والاستغفار.

والأفضل في أوقات الأذان: ترك ما هو فيه من ورده والاشتغال بإجابة المؤذن.

والأفضل في أوقات الصلوات الخمس: الجد والنصح في إيقاعها على أكمل الوجوه، والمبادرة إليها في أول الوقت، والخروج إلى المسجد؛ وإن بعُد كان أفضل.

---

(١) **المغني لابن قدامة**، ٢٣٣/١.

(٢) **شرح النووي على صحيح مسلم**، ١١٤/٥.

والأفضل في أوقات ضرورة المحتاج إلى المساعدة بالجاه أو البدن أو المال، الاشتغال بمساعدته، وإغاثة لهفته وإيثار ذلك على أورادك وخلوتك.

فالأفضل في كل وقت وحال: إيثار مرضاة الله في ذلك الوقت والحال، والاشتغال بواجب ذلك الوقت ووظيفته ومقتضاه[1].

وعموما، فإن الاشتغال بمقتضى وظيفة الوقت والحال هو الموافق لهدي النبي (ﷺ)، فقد ندب أمته في هذه الأوقات والأحوال إلى هذه الوظائف، فلا ينبغي أن تعارَض هذه الوظائف بغيرها من الأعمال التي لم تُخص بهذه الأوقات.

وهذه الوظائف المقيدة بوقت وحال، تفوت بفوات وقتها وحالها، فلا يمكن تداركها، بخلاف العبادات الأخرى المطلقة؛ فإنها لا تفوت، ولهذا رجَّح بعض العلماء الأذكارَ المشروعةَ في وقت أو حال على قراءة القرآن بالنظر لهذا المعنى.

"فإن قراءة القرآن أفضل من جنس الذِّكر -من حيث الجملة-، وإن كان هذا الكلام قد يكون أفضل من القراءة، كما أن الشهادتين في وقت الدخول في الإسلام أو تجديده، أو عندما يُقتضى ذكرهما، مثل: عقب الوضوء، ودبر الصلاة، والأذان وغير ذلك؛ أفضل من القراءة.

وكذلك في موافقة المؤذن، فإنه إذا كان يقرأ وسمع المؤذن، فإن موافقته في ذكر الأذان أفضل له حينئذ من القراءة؛ حتى يستحب له قطع القراءة لأجل ذلك؛ لأن هذا وقت هذه العبادة، يفوت بفوتها، والقراءة لا تفوت"[2].

---

(١) **ينظر:** مدارج السالكين لابن القيم: ١/٨٨-٨٩.

(٢) **مجموع الفتاوى لابن تيمية**، ٢٤/٢٣٩.

وأخيرا: ومما هو كالمتفق عليه بين العلماء الربانيين: أن الاتّصاف في كل الأوقات بقوة الإخلاص لله –تعالى–، ومحبة الخير للمسلمين مع اللهج بذكر الله؛ لا يلحقها شيء من الأعمال، وأهلها سابقون: لكلٍّ فضيلةٌ وأجرٌ وثوابٌ، وغيرها من الأعمال تبعٌ لها؛ فأهل الإخلاص والإحسان والذكر هم السابقون المقربون في جنات النعيم.

الخاتمة

ختامًا، أحمد الله (ﷻ) على ما يسَّر من كتابَةِ هذا البحث، وأسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يوزعني شكر نعمته عليَّ، وانتهيتُ إلى أهم النتائج الآتية:

أولاً: معنى العبادة والتضعيف.

ثانيًا: ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة، وأن التضعيف جاء في القرآن مطلقًا، وجاء تعيين التضعيف في بعض نصوص الكتاب والسنة.

ثالثًا: التضعيف يأتي على درجات؛ فأقل درجات التضعيف عشر حسنات، وجاء بأكثر من العشر إلى سبعمائة ضعف، وجاء بأكثر من سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة.

رابعًا: أن أسبابَ تفاضُلِ العبادات وتضعيف أجورها كثيرٌ، ومن ذلك: تفاضُلُها باعتبار الإخلاص والمتابعة وصحة المعتقَد، وحسن الإسلام، والنفع المتعدي، وشرف الزمان والمكان، وما يعتريها من الصوارف والمعارضات الخارجية، ووقت العبادة، وكونها فرضًا -إذ الفرض أفضل من النفل-، وباعتبار العامل ومنزلته عند الله؛ إما بشخصه، وإما بوصفٍ تعلّق به، واعتبار حضور القلب في العبادة، ومراقبة الله أثناء أدائها.

خامسًا: ظهور عظمة الشريعة، حيث تنوَّعت أسباب المضاعفة للأجور، فمن لم يُحصِّل بابًا حصّل الآخر بفضل الله -تعالى-.

وبعد، فقد ظهر لنا بهذا البحث ضرورةَ أن يتفقَّه المسلم في هذا الباب؛ فإن المسلم بحاجة إلى ما يزيده قُرْبًا من ربه (ﷻ)، ومن نِعَمِ اللهِ - تعالى- أنْ نوّع طُرقَ الخير، وعدّد سبلَ الوصول إليه، ونيل الدرجات العُلى، وعرّف عباده أسباب تضعيف العبادات؛ ففاوت في مراتبها وثوابها باعتبارات كثيرة، ولا

يمكن بلوغ كل هذا الفضل إلا بمعرفة هذا الباب الشريف من العلم؛ إذ الجهل به موجبٌ لحرمان الكثير من الأجور المضاعفة، والموفَق من وفَّقه الله –تعـالى–. جعلنا الله جميعًا من الموفَّقين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، اسم المؤلف: تقي الدين أبي الفتح، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢. **الأدب المفرد**، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت – ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الجيل – بيروت – ١٩٧٣م، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.

٤. **تجريد الاتباع في بيان أسباب تفاضل الأعمال**، اسم المؤلف: د. إبراهيم بن عامر الرحيلي، دار النشر: دار الإمام أحمد..

٥. **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، اسم المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي المنذري أبو محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

٦. **تفسير البغوي**، اسم المؤلف: البغوي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن.

٧. **تفسير القرآن العظيم**، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ.

٨. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، اسم المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

٩. **تفسير مقاتل بن سليمان**، اسم المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.

١٠. **تهذيب اللغة**، اسم المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

١١. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ.

١٢. **الجامع الصحيح المختصر**، اسم المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧هـ– ١٩٨٧م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

١٣. **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، اسم المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٤. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**، اسم المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين

البغدادي، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.

١٥. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

١٦. **سنن ابن ماجه**، اسم المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، دار النشر: دار الفكر – بيروت–، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٧. **سنن أبي داود**، اسم المؤلف: سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار النشر: دار الفكر –بيروت–، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

١٨. **السنن الكبرى**، اسم المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١١هـ – ١٩٩١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن.

١٩. **شرح صحيح البخاري**، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية/ الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

٢٠. **صحيح مسلم بشرح النووي**، اسم المؤلف: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٣٩٢هـ، الطبعة: الطبعة الثانية.

٢١. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، اسم المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار النشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٢٢. **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، اسم المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي، ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، دار النشر: دار ابن الجوزي – السعودية/ الدمام – ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

٢٣. **فتح القدير الجامع بين فنَّيْ الرواية والدراية من علم التفسير**، اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٢٤. **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت – ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، تحقيق: زهير الشاويش.

٢٥. **القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تعليق: الشيخ محمد بن عثيمين، دار النشر: مكتبة السنة.

٢٦. **كتاب العين**، اسم المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار النشر: دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي/ د. إبراهيم السامرائي.

٢٧. **كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، اسم المؤلف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد.

٢٨. **لسان العرب**، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار النشر: دار صادر – بيروت–، الطبعة: الأولى.

٢٩. **مجموع رسائل الحافظ ابن رجب**، اسم المؤلف/ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، دار النشر: الفاروق الحديثة– القاهرة– ١٤٢٣هـ، الطبعة: الأولى.

٣٠. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

٣١. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، اسم المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٣٢. **المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل عن العدل عن رسول الله** (ﷺ)، اسم المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري

النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت –، الطبعة: ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٣٣. **المعجم الكبير**، اسم المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، دار النشر: مكتبة الزهراء – الموصل – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، الطبعة: الثانية، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٣٤. **المعجم الوسيط**، اسم المؤلف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات/ حامد عبد القادر/ محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

٣٥. **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، اسم المؤلف: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، دار النشر: دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى.

٣٦. **منهاج السنة النبوية**، اسم المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار النشر: مؤسسة قرطبة – ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٣٧. **الوابل الصيِّب من الكلم الطيِّب**، اسم المؤلف: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٧٣٥
الملخص باللغة الإنجليزية	٧٣٦
المقدمة	٧٣٧
التمهيد وفيه: معنى العبادة والتضعيف في اللغة والاصطلاح	٧٣٩
• **أولا:** معنى العبادة في اللغة والاصطلاح	٧٣٩
• **ثانيا:** معنى التضعيف في اللغة والاصطلاح	٧٤٠
المبحث الأول: ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة ودرجات التضعيف	٧٤٢
المطلب الأول: ثبوت التضعيف في الكتاب والسنة	٧٤٢
المطلب الثاني: درجات التضعيف	٧٤٥
المبحث الثاني: أسباب تضعيف أجور العبادات والأعمال	٧٤٨
١- تضعيف أجر العبادة باعتبار الإخلاص لله -تعالى-	٧٤٨
٢- تضعيف أجر العبادة باعتبار المتابعة للرسول (ﷺ)	٧٥١
٣- تضعيف أجر العبادة باعتبار صحة المعتقد والإيمان بالله -تعالى-	٧٥٣
٤- تضعيف أجر العبادة باعتبار العامل لها	٧٥٤
٥- تضعيف أجر العبادة باعتبارِ تنزُّهِها عن الذنوب والمعاصي	٧٥٩
٦- تضعيف أجر العبادة باعتبار حسن الإسلام	٧٥٩
٧- تضعيف أجر العبادة باعتبار تعدِّي نفعِها؛ فيثاب عليها أكثر مما نفعه قاصر	٧٦١

٨- تضعيف أجر العبادة باعتبار المعارضات الخارجية والصوارف النفسية	٧٦٤
٩- تضعيف أجر العبادة، باعتبار الاجتهاد في تحقيق مقام الإحسان والمراقبة وحضور القلب	٧٦٧
١٠- تضعيف أجر العبادة، باعتبار شرف الزمان والمكان	٧٦٩
١١- تضعيف أجر العبادة، باعتبار وجوبها، ومحبة الله تعالى لها	٧٧٠
١٢- تضعيف أجر العبادة باعتبار واجب وقتها الذي شُرعت فيه على غيرها	٧٧٥
الخاتمة	٧٧٨
فهرس المصادر والمراجع	٧٨٠
فهرس الموضوعات	٧٨٦